هوامش

يقع فندق «المامونية» في مدينة مراكش في المغرب، ويمتلك قيمة فنية وتاريخيّة مميزة، إذْ استقبل شارلي شابلن وشارون ستون وتوم كروز وتشرشل

سُمعة الفندق بُنيت على دوره التاريخي ومكانته الجماليّة في قلوب المراكشيين (Getty)

«المامونية»

فندق تاريخي مستوحى من الثقافة المغربية

مراكش ـ **أشرف الحساني**

يُصنّف فندق «المامونية» بمدينة مراكش ضمن أغلى الفنادق في المغرب، إذ إنّ كلفة قضاء ليلةٍ واحدةٍ بمثابة راتبين لمُوظّفين حكوميين مغربيين في الشهر. وقد يصل الأمر إلى أكثر من ذلك، إذا احتاج الضيف إلى خدمات ترفيهية أخرى داخل مدّة إقامته بالفندق. هذا ليس جديداً على مدينة سياحية مثل مراكش، حيث رؤوس أموال العالم يتم تصريفها هناك، إمّا عن طريق الاستثمار كالنجم البرتغالي كريستيانو رونالدو الذي يمتلك فُندقاً ضخماً فيها، أو عن طريق تبييض بعض الأموال المُهرّبة من مُدن عالمية عن طريق شراء بعض التحف الأثريّة القديمة النادرة أو الأعمال الفنّية المُتفرّدة لكبار الفنّانين الذين عاشوا في المدينة إبان الحقبة الكولونياليّة وبعدها بقليل.

لذلك، لم يكُن غريباً أنْ تختار مجلّة «كوندي ناست ترافيلر» الأميركيّة، قبل أيام، فندق «المامونية» ضمن أفضل 30 فندقاً في العالم إلى جانب فنادق أخرى من مالقا ودبي وجنوب أفريقيا وأبوظبي. ورغم التتويج الذي حظي به الفندق، يبقى اختيار المجلّة ليس دقيقاً وغير مُبرّر من الناحية الجماليّة، لأنّ أسباب اختياره، لم تكُن ذات علاقة بمعماره الأندلسي البارز ولا حدائقه الداخلية التراثية، بل بسبب خدماته ورحابة مساحته، باعتباره أضحى اليوم ملاذاً لكبار السياسيين والبورجوازيين والنجوم والرؤساء من مختلف دول العالم.

أمّا المغاربة فلا علاقة لهم به فعلاً، لأنّه فندق باهظ الثمن، والأشخاص الذي يقيمون فيه يُعتبرون أكثر الناس ترفاً في العالم، باستثناء بعض الأفراد الذين يتردّدون عليه سريعاً في إطار مُهمّات رسميّة كوزراء وديبلوماسيين. فندق «المامونية» الذي وصفه رئيس الوزراء البريطاني الراحل وينستون تشرشل بأنّه «أجمل الأماكن في العالم» حرص على مدار تأسيسه على استقبال عشرات الشخصيات الشهيرة مثل الملكة إليزابيث وشارلي شابلن وشارون ستون وتوم كروز وتشرشل وغيرهم من شخصيات القرن العشرين الذين تجوّلوا بين ردهاته وصالاته وحاناته وغرفه وحدائقه ومَسابحه. كلّ هذا في وقتٍ شهد فيه الفندق أكثر من تغيير وترميم من طرف جهاتٍ رسميّة وتقلّب ملكيته وجدواه أنْ أضحى فضاءً سياحياً كبيراً بمراكش لحظة اختياره أكثر من مرّة ضمن قائمة أجمل الفنادق في العالم.

عام 1923 صمّم الفندق المهندسان الشهيران هنري بروست وأنطوان مارشيسيو، عن طريق بناء حوالي 50 غرفة للمبيت ليصل عدد غرفه في السنوات الأخيرة إلى أكثر من 200 غرفة. تمزج تصاميمه بين الثقافة المغربية الأصيلة ذات النفحة الأندلسية وبين باقي التيارات الجماليّة الأخرى التي ظهرت في بعض مناطق العالم. لكنّ اللمسة المغربيّة تبقى مستحوذة على فضاء «المامونية» على مُستوى تصاميم الغرف والكتابات المنقوشة والأقواس والزلّيج والمَصابيح وطريقة تمركزها داخل بنية الفضاء هندسياً. غير أنّ التحديث الذي طاول الفندق في الألفيّة الثالثة جعلاه يخرج من هذا البُعد الجمالي المُستند على الثقافة المغربيّة من خلال الانفتاح على أفق جمالي مُغاير على مُستوى الأثاث وطريقة توظيفه داخل مساحة الفندق وخلق نوعٍ من التجاذب الفنّي بين القديم المُعتّق في جرار الزمن المغربي والآخر القادم من المدارس الغربية الحداثة. لكنّ السمة القويّة والبارزة في الفندق، هو أنّه نجح فعلاً في خلق فضاء مُتناغم أشبه بمكان أسطوري. في الداخل يكثر الصمت مع خرير المياه ونضارة أعشاب الحدائق التقليدية الصغيرة، بما تمنحه للسائح من بهجة اللون، حيث العين تسرح داخل فضاءٍ بصريّ مُتخيّل، يتجوّل في الجسد، فيبقى أسيراً للموسيقى الأندلسية وحيرته بين الصور واللوحات والفضاءات الكثيرة والمُتنوّعة التي تمزج بين العتاقة المغربيّة والغرابة الآسرة التي تجعل المكان أسطورياً. أمّا خارج الفندق فتكثر الأجساد وتعمّ الفوضى ويُصبح الجسد مُضطرباً وخاضعاً لتأثير الزعيق وبهجة الناس وحميميتهم داخل الفضاءات العمومية بمدينة مراكش. والحقيقة أنّه رغم المشاهد الفنّية والجماليّة التي يحفل بها «المامونية» فإنّه غير مُؤثّر على عنصر السياحة المحلية للمدينة، إذ إنّ قلة تزور المدينة سنوياً بهدف الاستقرار بالفندق بضعة أيام أو أسابيع قبل أنْ تقرّر الرحيل مُجدّداً. وبالتالي، فإنّ سُمعته بُنيت بسبب دوره التاريخي ومكانته الجماليّة في قلوب المراكشيين ودوره المحوري في الذاكرة التاريخيّة للمغرب. على هذا الأساس، تدخّلت الدولة أكثر من مرّة للمُساهمة في صيانته وترميمه وإعادة بناء صورةٍ فنّية جديدة له، بعدما أضحى يُقدّم المغرب باعتباره مهداً وصانعاً لما يُسمّى بـ«الفنادق التاريخيّة».

باختصار

لم يكُن غريباً أنْ تختار مجلّة «كوندي ناست ترافيلر» الأميركيّة قبل أيام فندق «المامونية» ضمن أفضل 30 فندقاً في العالم

■■■

وصفه رئيس الوزراء البريطاني الراحل وينستون تشرشل بأنّه «أجمل الأماكن في العالم»

■■■

تمزج تصاميمه بين الثقافة المغربية الأصيلة ذات النفحة الأندلسية وبين باقي التيارات الجماليّة

وأخيراً

اختراع شرقي... المستبد العادل

خطيب بدلة

يوصَف الحاكمُ، في مختلف بقاع الأرض، وعبر العصور، بإحدى الصفتين المتناقضتين إلى حد التناحر؛ مستبد (ديكتاتور)، أو عادل (ديمقراطي). ولعلّ الوحيدين الذين يعتقدون بوجود مستبد وعادل في آن نحن العرب، المسلمون، سكان الشرق. ابتكر هذا المصطلح الإمام محمد عبدُه (1840- 1905)، أحد رواد حركة الإصلاح الديني التي بدأت مع جمال الدين الأفغاني... وللتذكير، بدأ محمد عبده مشروعه التنويري بالدعوة إلى الحرية، والديمقراطية، والحكم النيابي الدستوري. لكن، يبدو أنّ المقاومة العنيفة التي لقيها من فقهاء عصره ومنظّريه شوّشته، وجعلته يتحدّث عن المستبد العادل، ويحدّد مهلة خمس عشرة سنة، يتمكّن خلالها المستبد، برأيه، من تثبيت الأمن، والقضاء على الفتن، ثم ينتقل إلى مرحلة البناء، وترسيخ العدل.

يمكنني، توخياً للموضوعية، أن أستعير تعبير طه حسين، فأقول: «أميلُ إلى الاعتقاد» بأنّ دحض فكرة المستبد العادل لا يحتاج، اليوم، إلى جهد كبير، فقد تراكمت لدينا تجارب كثيرة، في سورية ومصر على وجه الخصوص، ابتداءً من انقلاب سنة 1949 في سورية الذي قاده حسني الزعيم المهووس بالحكم والزعامة، بدليل ما رواه عنه المؤرّخ نذير فنصة، أنّه، بعدما رفعه الرئيس شكري القوتلي إلى رتبة زعيم، صار يرتدي البدلة العسكرية، ويتفتل أمام المرآة بجسده السمين، ويردّد العبارة الرنانة «الزعيم: حسني الزعيم» بفرح غامر. أعلن، في بيانه الانقلابي، أنّه سيعيد الحكم، فور تثبيت الأمن والاستقرار، إلى المدنيين. وقد تكرر السيناريو نفسه مع العقيدين، سامي الحناوي وأديب الشيشكلي، اللذين قاما بانقلابين متتاليين في السنة نفسها، لكنّ أيّاً منهما لم يُعد الحكم للمدنيين. وفي سنة 2011، عاد السوريون بذاكرتهم إلى موقف رائع للعقيد أديب الشيشكلي، فقد استقال وتخلّى عن الحكم في 1954، حرصاً منه على أرواح السوريين التي كان يمكن أن تُزهق في ما لو تصدّى للانقلاب الذي قام به مصطفى حمدون عسكرياً.

الضباط الأحرار الذين انقلبوا على الحكم الملكي في مصر 1952 (وهو حكم أسسه مستبد عادل اسمه محمد علي باشا)، وعدوا بإقامة جمهورية ديمقراطية، مكان «العهد البائد». وكان قائد الانقلاب محمد نجيب مصرّاً على ذلك بالفعل، إلى أن تمكّن الضابط الطموح جمال عبد الناصر من الانقلاب عليه، وعلى التوجهات الديمقراطية بشكل عام، ووضع نجيب في الإقامة الجبرية مدى الحياة، وأمّم الصحافة. وبدلاً من أن يكون عادلاً، مثلما أمل محمد عبده، تحول إلى حاكم مطلق، قاد مصر، والأمة العربية كلها، من إخفاق إلى إخفاق، وصولاً إلى الكارثة الكبرى، هزيمة يونيو/حزيران 1967. حادثة طريفة جداً، لعلّها تلخص الحالة الكارثية التي تنجم عن الحاكم المستبد العادل. في صحيفة المصري اليوم، الصادرة في 24 يوليو/ تموز 2009، حوار مع حسن عباس زكي، وزير الاقتصاد في زمن عبد الناصر، يقول فيه إنّ الريس جمال استدعاه، في صيف 1961، إلى استراحته في المعمورة (الإسكندرية). وعندما ذهب إليه، راح يحدّثه عن نقص السيولة الذي تواجهه البلاد، وتأثير ذلك على بناء السد العالي، ولذلك يفكر في معاقبة الأجانب وتأميم ممتلكاتهم في مصر. اقترح الوزير زكي أن يُستعاض عن التأميم بفرض ضريبة تصاعدية على الممتلكات، فتحمّس الريس، وطلب منه إعداد دراسة فورية، وأن يأتيه بها صباحاً. لم ينم زكي ليلتها، وأعدّ الدراسة، وجاء في صباح الغد، فوجد الرئيس في فيلا عبد الحكيم عامر، الذي أبلغه بعدم الموافقة، والمسارعة بتنفيذ تأميم يشمل الأجانب والمصريين معاً، ويأمره بأن يقوم هو نفسه بتنفيذه.

يقول زكي: «بعد كلّ هذه السنوات، وعلى الرغم من أنّ التأميم وفر للدولة أموالاً طائلة، أعتقد أنّ اقتراح الضريبة كان أفضل، لأنّها كانت ستحافظ على أصول رأس المال، وإدارته عن طريق أهل الخبرة، لا أهل الثقة».

> لعلّ الوحيدين الذين يعتقدون بوجود مستبد وعادل في آن نحن العرب، المسلمون، سكان الشرق

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**